رحلة

اول سائح شرقي الى اميركة

(١٦٦٨–١٦٨٣)

عُني بنشرها وتعليق حواشيها الاب انطون رباط اليسوعي (تابع)

٥ السفر الى اميركة الجنوبية

سافرنا وكان المسافرون قوم منهم في فرح واناس في حزن على فرقة اهاليهم . وهذه رفقة المراكب تسافر كل ثلاث سنين مرة واحدة الى بلاد الهند التي تسمى البيروه والتي تبعد الف وخمسمائة فرسخ داخل بلاد ينكي دنيا لكي يحضروا من هناك خزنة الملك . وايضاً التجار يوسقون الغلايين من كل اجناس البضايع ويبيعونها في تلك البلاد ولا يدعون انساناً غريباً عن الجنس السنيولي يرافقهم لا تاجراً ولا كاهناً ان لم يكن معهُ امر من الملك مثل ما ذكرنا سابقاً . وهذه هي الى اليوم قوانين ونواميس موضوعة من ايام كارلس الخامس من ملوك اسبانية وبلاد الجر حيث على عهدهِ فتحوا بلاد الهند . وهذه الغلايين تعود بالشايم الفضة والذهب بقيمة عشرين او خمسة وعشرين مليوناً وكل مليون قدرهُ عشر كرات . وبعد خروجنا من قادس بثلاثة ايام حدث اضطراب عظيم في البحر ودام ذلك علينا ثلاث ساعات فكان برفقتنا رجل شريف يسمى دون نيقلاوس اتيفانه وكيل الملك فمن كثرة الخوف الذي دخل عليهِ مات في تلك الليلة . فربطوا برجليهِ جرار مملوة ماء وحدفوهُ بالبحر لكي يغطس الى اسفل ولا يعوم على وجه الماء وتاكلهُ الحيتان . فلما حدفوهُ ضربوا لهُ ثلاثة مدافع وهذا المذكور كان ذاهباً مقدم ديوان كيتو (Quito) (١ ومن بعد ثلاثة ايام اشرفنا على جزيرة اسمها كناريا Canaries (٢ من حكم اسبانية ولا زلنا مسافرين والارياح تلعب بنا ونحن في نصف الدرب فصادفنا مركباً انكليزياً موسوقاً من العبيد السود

١) خاصة بلاد الاكوادور او خط الاستواء

٢) هي الجزائر الخالدات غربي افريقية الشمالية قبال بلاد مراكش

عددهم سبعمائة نفس قد جاءوا بهم من بلاد برازيل (Brésil) من حكم البورتكال حتى يبيعوهم في بعض جزائر الهند

٦ الوصول الى اميركة

وفي اليوم الرابع (١ كشفنا على ارض من اراضي الهند ووصلنا الى مكان اي ناحية في البحر . فتأمل النواخذة (٢ في الماء . فلما نظروا لونها متغيراً علموا انها ماء النهر وعرفوا في اي مكان وصلوا لانهُ ينحدر من تلك الارض نهر كبير واسع مقدار اربعين فرسخاً ولانحداره وعزم قوته الشديدة يشق البحر ويجوز فيهِ نحو اربعين فرسخاً . ثم الى هذا الحد تتخلط ماءهُ في البحر ولا يوجد مثلهُ نهر في الدنيا (٣ ثم من هناك كشفنا على ارض تسمى كراكس (Caracas) (٤ ومن هناك جزنا في جزيرة تسمى مركاريتا (Marguerite) (٥ من حكم اسبانية . وذكروا لنا عن الجزيرة انها من مدة عشرين سنة كان الغطاسون يغطسون في هذا البحر قرب الجزيرة وكانوا يخرجون صفد اللؤلؤ البليغ في الكبر والشريف باللون . فذات يوم بينما كانوا يستخرجونهُ نذروا على انفسهم ان اول شيء يخرجونهُ في ذلك النهار من اللؤلؤ يدفعونهُ الى كنيسة العذراء فلما نظروا انهم اخرجوا لؤلؤاً كبيراً غالي الثمن ندموا بذاتهم وقالوا ان غداً يكون على اسم العذراء وايضاً غطسوا ثاني يوم واخرجوا اللؤلؤ فوجدوهُ احسن وابلغ من الاول . فطمعوا كذلك وقالوا نهار غدٍ نحن نذرنا الى العذراء . ثم في اليوم الرابع انحدر الغطاسون كعادتهم ليخرجوا اللؤلؤ فما وجدوا شيئاً ابداً والى يومنا هذا ما بقيوا يجدون لؤلؤاً في ذلك البحر

---

١) اليوم الرابع بعد التقائهم بالمركب الانكليزي ولعله تصحيف اليوم الرابع والاربعين بعد سفرهم من قادس

٢) نواخذة كلمة فارسية مفردها ناخذاة ومعناها ملّاك السفينة او رئيسها

٣) هو نهر الاورينوك (Orénoque) العظيم في شمالي اميركة الجنوبية لكنه ليس باعظم من نهر الامازون

٤) كاراكاس عاصمة بلاد الفنيزويلا (Vénézuéla)

٥) مرغريتا جزيرة صغيرة من جزائر الانتيل الصغيرة (Petites Antilles) تجاه كاراكاس وهي شهيرة بصيد اللؤلؤ ولما حل المكتشفون في ضواحيها في اواخر سنة ١٤٩٩ اشتروا من سكانها اللؤلؤ بالكيل مقايضين طيو بابر ودبابيس وقد سمي جوارهـا خليج اللؤلؤ (Las Perlas)

٧ السير هناك شطوط فنزويلا

فنرجع الى قولنا . فمن هناك سافرنا ووصلنا الى ميناء يسمى كومانا (Cumana) من حكم اسبانية . فمن هذا الميناء يقدرون ان يمشوا في البر الى كل بلاد البيروه . لكن المانع هو خوفهم من الجنود الجلالية (١ ومن الجبال العالية والانهر والاحراش والوحوش الضارية فلاجل ذلك يسافرون في البحر . فرسينا في ذلك الميناء واكتفينا من الفواكه والهدايا التي اهداها لنا حاكم البلد . ومن بعد يومين سافرنا من تلك الاسكلة وجزنا على جزيرة تسمى كوراصون (Curaçao) وهي من حكم الاولنديز (الهولنديين) ثم ان حاكم هذه الجزيرة ايضاً ارسل لنا شختوراً ملآن فواكه وبوزه لاجل المشروب وضرب لنا من القلعة سبعة مدافع ونحن ايضاً ردّينا عليهم السلام بسبعة مدافع . ومن هناك سرنا وجزنا على جزيرة تسمى ترتوكا (Tortuga) وهذه الجزيرة غير مسكونة لان فيها زلاحف كبيرة ازيد من ذراعين طولاً وعرضاً . والمراكب تروح وتتصيد من هذه الزلاحف وتملحها لاجل زوادة (٢ . وفي هذه الجزيرة وجدنا مركباً صغيراً فرنساويًا . وكان في ذلك الزمان حرب بين اسبانية وفرنسة ونحن كنا سبعة عشر غليوناً . ولما رأى الفرنساوية اننا احطنا بهم هربوا للبر في الجزيرة وتركوا المركب فارغاً فاخذت مراكبنا المركب فرأيناهُ موسوقاً زلاحف مملحة . واما الناس الذين هربوا وخلّوا المركب كان لهم مركب آخر في جانب آخر من الجزيرة نحو تسعة اميال فراحوا واجتمعوا بذلك المركب فمن بعد شهرين حصنوا لهم مركباً بعدة من الرجال والآلات الحربية لينتقموا من اعدائهم

٨ وصف قرطجنة

ومن هناك سافرنا الى بلدة تسمى كرتاخينا (قرطجنة الجديدة Cartagène) (٣

---

١) الجلالية لعلّها كلمة (Guérillas) ومعناها العصائب التي تقاتل قتالاً غير قانوني

٢) سميت هكذا لوفرة الزلاحف التي كانت تغطي ارضها عندما بلغها المكتشفون سنة ١٥٠٣

٣) قرطجنة بلدة عظيمة بمكانها وتجارتها لانها تعتبر مرفأ امركة الجنوبية اليها تاتي السفن التجارية ومنها تقلع محملة كنوزاً وبضائع . وقد كانت عندئذٍ سوقاً عاماً للرق ياتي التجاسون بالعبيد الساكنين من الكونغو والفوليان وغيرها من بلاد افريقية فيبيعونهم بيع المواشي ولذلك سعى المرسلون ان يخففوا آلام العبيد ويفكوا قيودهم ما استطاعوا وينيروا عقولهم بنور

وكان السفر الذي سافرناه سعيداً لاننا بخمسة وخمسين يوماً دخلنا الى هذه الاسكلة حيث ترسي الغلايين . وكان وصولنا الى هذه البلدة يوم مبارك وهو يوم خميس الفصح المقدس . ثم خرجنا ثاني يوم للبر نهار جمعة الآلام واسترحنا من اتعابنا . وايضاً تشرفنا بالزياحات المقامة يومئذٍ لآلام المسيح . وفي هذه البلدة قوم اكابر اغنياء جداً وديوان من ديوانات الملك وكنائس وقسوس وديورة رهبان وراهبات . وسكان هذه البلدة كاثوليكيون محبو الغرباء وهم اسبنيوليون حقيقيون وكان حاكم هذه البلدة رفيقنا في المراكب وقد عمل لي عزاً عظيماً واكراماً جزيلاً . فرسينا في هذه البلدة اربعين يوماً حتى جاءت المكاتيب مع الاولاق (١ من بلدة ليما التي هي تخت لوزير الملك والتجار الاغنياء الذين من البيروه فخرجنا من هذه الاسكلة وسافرنا الى اسكلة تسمى بورتو بلّو (٢ وفي هذه الاسكلة يصير البيع والشراء لما يرجع تجار البيروه من البحر القبلي . فبقينا نستناهم نحو شهرين حتى وصلوا الى عندنا واحضروا معهم من الفضة والذهب خمسة وعشرين نكاً (٣ وصار البيع والشراء بين التجار والهنود وبين التجار السبنيولية اربعين يوماً . ففي ذلك الحين جاء المركب الفرنساوي السابق ذكره وقنصر (٤ . وفي ليلة من الليالي طفّ على الشخترات الاسبنيولية واخذ المال الذي كان فيها وكانت عدة المال مايتين الف غرش . فالصبح لما سمع اصحاب مراكب الحرب خرجوا وراءهم فما صادفوهم . فراحت على من راحت وراح الصيادون الفرنساوية المذكورون وهم يؤمرون ويدقون بالدفوف . ويوجد في هذه الاسكلة التي

الانجيل ليكون صليب المسيح عزاء لهم ورجاء في حالتهم التعيسة . وقد اشتهر بين ذوي النجدة المسيحية على هؤلاء المتكودي الحظ القديس العظيم بطرس كلافر اليسوعي الذي قضى نحواً من نصف قرن بخدمة السيد في قرطجنة فكان لهم ابّاً حنوناً اكسب منهم الى المسيح عدداً لا يحصى وقد عمد بيده ثلاثمائة الف وتيف ومات سنة ١٦٥٤

١) اولاق كلمة تركية معناها السعاة

٢) بورتو بلو وقد كتبها سائحنا مراراً بورتو وبلو على اللفظ السبنيولي (Porto Belo) وتسمى ايضاً (St. Philippe de Porto Belo) بلدة صغيرة على برزخ باناما بالقرب من نهر شاغر (Chagre) وهناك يحتمون الآن بثقب ترعة باناما لتمر السفن من بحر الى بحر

٣) النك كناية عن عشرة ملايين

٤) قنصر هي كلمة (ancrer) اي ارسى وردت في رسائل بعض معاصري السائح

تسمى بورتو بلو شيء من جنس الدبابات اصغر من البرغوث ويُسمى في اللسان الهندي بنكنوا . فهذه الدبيبة اذا تغافل عنها الانسان تجوز في جسده ومن بعد اربعة او خمسة ايام تكبر وتصير قدر الحمصة فيلتزمون ان يكشفوا بصنعة ويخرجوها بابرة من غير ان ينفثوها ويحطونها على بصة تار فتطق مثل الفرقوعة . واذا ما اخرجوها بصنعة ونفثوها فتقع ميتة على لحم الانسان فيتورّم ويفقع ويموت ذلك الانسان (١ . وايضاً في ذلك البلد يحصل خفاش الليل كبير يجي الى الانسان وهو نايم ويبدأ يفصده ويمص دمهُ ويستفرغهُ وبجناحهِ يهوي على ذلك الانسان ليطيب لهُ النوم . ولا يزال يفصد ويتقيأ الدم الى ان يفيق الانسان نصف غشيان من كثرة الدم الذي خرج منهُ (٢ وقاسينا في تلك البلدة من الحر والمطر مدة اربعين يوم والتجار يبيعون بضائعهم . فلمّا ادخلوا خزينة الملك الى هذه الاسكلة ارسلني الجنرال حتى اتفرّج عليها فرأيت شيئاً لا يحصى من الفضة والذهب

٩ السفر الى باناما

ومن بعد ذلك قصدتُ ان اركب سفينة واتوجه الى بلاد صانتافه (٣ التي يخرجون منها هناك حجارة الزمرد لان من بلد كرتاخينا (قرطجنة Cartagène) يسافرون في النهر وهم صاعدون الى هذه الارض المذكورة معادن الزمرد فلكن جنرال الغلايين نصحني ومنعني عن ذلك قائلاً انَّ في تلك الارض يوجد بعض حيات مسمومة تقتل الناس وايضاً المسافة بعيدة فانا اشور عليك بالمحبة الالهية ان لا تروح وتضيع وتموت في تلك البلاد . ثم اني طاوعت شوره وقصرتُ عن الرواح . ثم من بعد اربعين يوماً طلعنا من

---

١) نقله يريد الدبيبة المعروفة عند علماء الطبيعيات باسم (Sarcopsylla penetrans) فان وصفها عندهم يطابق ما جاء به الكاتب (الطب Traité de Parasitologie du Dr. Moniez) (p. 612 . وقد وصف دون دولوا (Dom d'Ulloa) مرضاً جلدياً شبيهاً بداء الحبة الصغيرة (Culebrilla) بسبب سكان باناما قال انه دملة تداوى بالشق باخراج الجلد البالي فيلاً يشابه الحية وزاد ان سكان قرطجنة وبورتو بلو يذهبون انهُ بالحقيقة حية او دبيبة صغيرة . وقد ثبت الان انه دبيبة تعرف باسم (Filaria Medinensis) (ibid. p 319)

٢) هو وصف الخفاش المسمّى Vampire

٣) صانتافه Santa Fé de Bogota عاصمة بلاد غرناطة الجديدة وهي الان عاصمة كولمبية والنهر المذكور هو نهر (Magdalena)

بلد كرتاخينا وسافرنا صحبة الغلايين . ومن بعد عشرين يوماً وصلنا الى ميناء يسمى سان فيلبه ده بورتو بلو . فلما وصلنا الى هناك رسينا في هذا الميناء مستظرين المراكب التي تجي من بلاد البيروه في البحر القبلي الذي يسمى مارسوريجوا الى اسكلة تسمى باناما وفيها حاكم رئيس عسكر واسقف وديورة رهبان وراهبات . وهذه البلدة لطيفة جداً . ومن هذه الاسكلة المذكورة الى اسكلة بورتو بلو ثمانية عشر فرسخاً في جبال وحرش ما بين البحرين بحر القبله وبحر الشمال . وهذه الارض دروبها صعبة نذكرها فيما بعد . فنزّلوا خزينة الملك محملة على بغال الى بورتو بلو وايضاً احمال التجار والمسافة دون ثلاثة ايام ويأخذون الكروة ثلاثين غرشاً على كل بغل ويصير موسم التجار لربعين يوماً ويتسوقون البضايع التي مع الغلايين فخزنة الملك كان عددها خمسة وعشرين مليوناً وكل مليون عشر كرات وكل كرة ماية الف غرش . فاما هذه الخزنة ما تجي كلها الى اسبانية بل يقسمونها علايف (١ على ارباب الوظايف والى الجنود الحارسين الجزاير والقلاع الكائنة في بلاد الهند المنسوبة الى بلاد البيروه . ومن هذه الخزينة يصرفون ايضاً على الغلايين المنسوبة الى الملك وعلى جنودهم . وهذا الميناء هو ارض حامية جداً وكثيرة الامراض . ففي تلك السنة ما صار مرض عظيم . فلكن مات من الطرفين مقدار الف نفس والباقي مرضوا وانا مرضت لكن الرب شفاني بواسطة ملكة القديسين مريم العذراء ومار الياس الحي . ثم من بعد ذلك باع تجار اسبانية بضايعهم الى تجار البيروه وتسلموا الفضة والذهب . فرجع تجار البيروه الى سيلهم والغلايين اخذوا الفضة والذهب وبعض من البضائع مثل صوف التفتيك يسموهُ بيكونيا (٢ وايضاً كاكاو الذي يشبه القهوة بالرائحة والطعم لكن زايد الدسم (٣ فيخرجون من هذه الاسكلة راجعين الى كرتاخينا ومن كرتاخينا يسافرون الى جزيرة لاوانا (٤ وهي جزيرة حصينة وفيما بعد نذكرها

١٠ السفر الى باناما

فاما انا الحقير قصدتُ مرافقة هؤلاء التجار للبيروه . فاستكريتُ ثلاثة بغال بتسعين

---

١) علايف بمعنى رواتب واجور ٢) صوف التفتيك (بيكونيا) لعلهُ يريد النبات المعروف باسم بتيونيا او بيكونيا وهو انواع ومنهُ نوع قطني ٣) سيأتي وصفه
٤) يريد مدينة لاهافانا (La Havana) من اعمال جزيرة كوبا (Cuba)

غرشاً فاما الحاكم ما اراد يخليني ان اروح وحدي لسبب الجبال التي يوجد فيها نوع من الحشيش يشبه الخيزران الرفيع . فلما يمر عليه رجل ابيض عابر الطريق يرتفع من الارض مثل عود السهام ويدقر (يمس) الانسان . ولا يشفى المصاب بهذه الدقرة الى الموت لكنهُ لا يدقر الهنود العبيد ولا يضرهم . فلما حكى لي الحاكم بهذا الشيْ قلتُ لهُ لا اصدق ان لم ار بعيني فقام ارسل معي خادمه وهو احمر حتى يريني ذلك الحشيش فلما وصلنا الى الموضع الذي يوجد فيه هذا الحشيش جاء الخادم الى جانب فرسي واختفى فما رأيت هذا الحشيش وهو بعيد عشرة اذرع عن الدرب الّا وارتفع وامتد ان يجي يلدغني . فخرج الاحمر صاح عليه دونك ياكلب فلما صاح عليه وقع على الارض وانا شاهدت ذلك بعيني (١ . وايضاً في هذا الجبل رأيت اغصاناً ساوية معدلة من غير ورق . وفي كل غصن ثلاثة جوزات مثل القطن . فاذا انفتح جانب الجوزة رأيت داخلها حمامة بيضاء بجناحها كاملة ورجليها ومنقارها احمر وعيونها سود فهذه يسمونها زهرة الروح القدس وكثير من حكام السبنيولية ارادوا ان يحضروا منها ويزرعوها في اسبانية فما قدروا (٢ . فمن بعد خروجنا من بورتو بلو عبرنا في نهر صغير قليل الماء تكن نحجر فمشينا فيه ثلاث ساعات (٣ . ومن بعد ذلك صعدنا الى راس جبل لنرقد تلك الليلة . وهذا المنزل يسمى بوركارفون . وثاني يوم سافرنا ورقدنا في منزل آخر يسمى جاكري . ومن ذلك المنزل دخلنا الى البلدة التي تسمى باناما الجديدة لان من سابق عام كان قد احترقت باناما القديمة (٤ ولما وصلتُ الى البلد رأيت كل البيوت معمرة من خشب . وثاني يوم نزلت عند اسقف هذه البلدة ورأيته رجلًا قديساً فصار لي معهُ صداقة عظيمة حتى تخاوينا مع بعضنا البعض فهو اعطاني خاتمهُ وانا ايضاً اعطيتهُ خاتمي . وهذا

---

١) نستغرب هذا الوصف فقد طالعنا رحلات معاصريه ونقرنا في كتب العلم فلم نرَ اثباتاً لما ادعى صاحبنا انه رآه مرأى العين وقد يكون هناك خزعبلة اراد بها الحاكم ان يخدع سائحنا من الغر اللهمَّ ان لم نأوّل كلامه فننزهه الى وصف الثمرة المعروفة باسم (Hura crepitans) التي اذا ما نضجت تفرقعت بدويّ كدوي اطلاق بارودة

٢) لعلَّها الزهرة المسمّاة (Polygala) مع المبالغة في وصفها

٣) هو نهر شاغر (Chagre)

٤) اغار القراصنة الانكليز بقيادة زعيمهم مورغان (Morgan) سنة ١٦٧٠ على باناما فنهبوها واحرقوها فاعاد الاسبانيون عمارها قبل وصول سائحنا بمدة قصيرة

الاسقف النبيل كان اسمهُ دون انطونيو دهليون واعطاني عكازته الصغيرة التي كان يمسكها في يدهِ . وبقيتُ في هذه البلدة مقدار شهر

١١ من باناما الى غواياكيل في بلاد البيرو .

ثم ركبتُ في مركب وسافرنا في بحر القبله الذي يسمى البحر الازرق قاصدين بلاد البيروه وكان قبال هذه الاسكلة باناما جزيرة صغيرة مسكونة تسمى تابوكا (Taboga) قريبة من الاسكلة المذكورة ثلاثة فراسخ ففي الحين صادفتُ برفقتنا في المركب رجلًا خيّرًا يدعى قبطان فرنسيسكو من بلد طروخيليو . فلما وصلنا الى هذه الجزيرة وكان دخل من الليل ساعتان قال لي القبطان بان نمضي ونرقد في البر لان حاكم الجزيرة هو صهري فطاوعتهُ ونزلنا على كلك صغير حتى نطلع للبر وهذا الكلك هو خمسة خشبات فلما اقتربنا من المركب قاصدين الارض انقلب الكلك والوقت ليل وعتمة . فانا لما نظرت روحي في الماء فخبطتُ وتعلقتُ بالكلك بتلك العكازة التي كان اعطاني اياها الاسقف . وهكذا اعانا الرب ووالدته مريم العذراء حتى اننا خرجنا ثلاثة اقمار الى الارض بغير ضرر البتة وسكنّا هنا ثلاثة ايام الى ان حمل مركبنا ماء للشرب ثم بعد الايام المذكورة سافرنا في البحر والارض كانت قريبة من شمالنا . وايضًا يوجد في هذا البحر في دربنا مكان يسمى كوركونا (Gorgone) يعني دوار البحر فاذا وقع مركب هناك يبقى خروجه امر عسير الى وقت ما تأتيه ريح عاصفة تخرجهُ من هناك والّا يهلك اناسه من الجوع . وهذا البحر السفر فيه مخاطرة بسبب شدة امواجهِ يسمى البحر الحجاج المتلاطم بالامواج لان العابر فيهِ مفقود والخارج منهُ مولود (١ فلولا عناية الله الذي عاننا حتى اننا خلصنا من شر امواجهِ فبقينا على وجهِ الماء مقدار شهر الى ان سهل لنا الباري عز وجل اسمهُ فوصلنا الى مينا يسمى سانتا ايلينا (Sᵗᵉ - Hélène) يعني قديسة هيلانة . ثم رسينا هناك وكان في رفقتي ثلاثة رجال كرماء رايحين ليحكموا كل واحد في منصبهِ . فبعد ان حصلنا في الارض وبقينا خمسة ايام من خوفنا من شر البحر قصدنا ان نمشي في البر ولو صار لنا تعب عظيم لبعد الدرب

حينئذٍ اخبروني في هذا الميناء عن رجل من الهنود عمرهُ مائة وخمسون سنة

١) كأن الكاتب يذكر ما قرأه في كتاب الف ليلة وليلة فنقل هذه الفقر بحروفها .

فقصدتُ ان اروح ازوره فنظرتهُ صحيح الجسم عتيق الايام . فابتدى يحكي لنا عن الايام السالفة وذكر لنا قائلًا ان بالقرب من هذا الميناء بفرسخ واحد يوجد مغارة كبيرة وهناك مدفونون أناس من الجابرة وايضاً اخبرني بان والدهُ كان حكى لهُ ان لمَّا وصلت مراكب السبنيولية الى تلك البلاد واكتسبوها كان الهنود يظنون ان المراكب هي حيتان البحر وقلاع المراكب كانوا يظنونها جناح الحيتان لان الى ذلك الحين ما كانوا رأوا مركباً . ولمَّا كانوا ينظرون الى الخيل وراكبيها كانوا يظنون ان الفرس وراكبها شقفة واحدة . ثم اني لمَّا سمعتُ عن الذي جرى في تلك البلاد وعن الجابرة المدفونين هناك صار لي رغبة ان انظر ذلك عياناً فاخذت معي رفقاء من الهنود اثني عشر نفراً مستعدين بالسلاح ورحنا قاصدين تلك المغارة لننظر الذي سمعناه . فعند وصولنا اليها اشعلنا الشمع الذي كان معنا لخوفنا ان نضيع داخل المغارة فعبرنا والشمع بيدنا وفي كل عشر خطوات اوقفنا رجلًا في يدهِ الضوء حتى لا نضيع درب الباب . وانا تقدمتهم وسيفي مسلول في يدي . ثم اني وصلتُ حيث موضوعة العظام فنظرتها نخينة واما الجاجم فهي كبيرة جداً فقمتُ قلعت من احدى الجاجم سناً اي ضرساً كان هذا قدّ كبره حتى انهُ كان يزن مائة مثقال لثقلهِ . وايضاً تأملت في عظم الساق وقست احدها فكان طولهُ خمسة اشبار . ففي بعض البلاد عمل احد المصورين قياساً وتخميناً لهذا الجسم فوجد ارتفاعه خمسة وعشرين شبراً . ثم خرجنا من المغارة متعجبين جداً مما نظرنا وانا اخذتُ معي الضرس المذكور (١)

١٢ وصف التمساح المعروف باسم قيمان (Caiman)

ومن هناك توجهنا الى الميناء واستكرينا خيلًا وخرجنا مع الهنود قاصدين كورة وايا كيل (Guayaquil) وهي ايضاً ميناء البحر الازرق وهي درب اربعة ايام . والدرب حرش واشجار وبعض انهر صغار ويوجد فيها حيوان كمثل التنين يسمى قيمان كالتمساح

---

(١) ذكر مراراً السائحون في البيرو عظام الجابرة القدم . قال كوربال من معاصري رحلتنا في سفرته الى ضواحي غوايا كيل : « وقد ذكر لنا الهنود ان قوماً من الجابرة كانوا يسكنون ارضهم فقتل شاب من الماء وابادهم بالنار وقد لجأ بعضهم الى المغاور والكهوف فاتوا فيها حريقاً » وذكر غيره انه قاس سناً فكان عرضها ثلاث اصابع وطولها اربع اصابع . وهذا يثبت كلام سائحنا . لكنها عظام بعض الحيوانات القديمة لا عظام بشرية

وفمهُ واسع وطويل مقدار خمسة اشبار وطول جسدهِ خمسة اذرع . هذا اذا صادف انساناً يبتلعهُ في الحياة ولكن الانسان الميت لا يأكلهُ فيخرج من الماء ويطوف قرب النهر فاذا وجد انساناً ام حيواناً بالحياة يبتلعهُ ويركض على يديهِ ورجليهِ كمثل يدي السباع . فاذا جاء فرس ام ثور يشرب ماء من النهر فيطف عليهِ ويسحبهُ من مناخيرهِ ويديهِ فيجتمع عليهِ البعض من هولاء الحيوانات ويقطعوهُ ويأكلوه . فاذا اراد الكلاب ان يشربوا ماء ينبحون اولاً على حفة النهر فيسمع هذا الحيوان صوتهم فيخرج ليبتلعهم . فعند ذلك يرجع الكلاب هاربين وراكضين الى مكان آخر ليشربوا الماء لعلمهم ان القيمان هو في المكان الذي نبحوا . هكذا يتحايل الكلاب على القيمان . واما الحيلة التي يصطاد بها الهنود هذا الحيوان فالاولى هي انهم يأخذون عوداً قدرهُ نصف ذراع ورأسا العود منحوتان نحتاً رفيعاً ويربطون في نصف العود حبلاً متيناً . وهذا العود يشوونهُ ويصقلونهُ مثل السيف حتى يبقى صلباً مثل الفولاذ ثم يروح احد الهنود ويجلس كامناً على جانب النهر فلما يخرج هذا الحيوان وينظر الهندي فيقصد ابتلاعه وينتح فاهُ ليبتلعهُ حينئذٍ يدفع الهندي ذلك العود المنحوت في فم الحيوان وهو ماسكهُ بيدهِ فلما يقصد ان يطبق فاهُ ينغرس في فمهِ من الطرفين وكلما يعضّ عليهِ ينغرس في لحمهِ ثم يسحبونهُ بعزم شديد الى الارض ويجاهدون ان يقلبوهُ على ظهرهِ ليمنعوهُ عن المشي حينئذٍ يقطعونهُ شققاً . واما الحيلة الثانية التي يصطادونهُ بها فهي ان احد الهنود ينزل في النهر وفي يدهِ حبل ويغطس تحت الماء ويعمل الى هذا القيمان وهو طايف على وجهِ الماء ويرمي خزوتة (كبة) الحبل على نصف ظهرهِ وهو تحت بطنه يحكحك لهُ وهو لاطٍ الى بينما يرتبط في بطنهِ بالحبل من نصفهِ ثم الهندي يسبح هارباً منهُ لان هذا الحيوان لا يقدر ان يفترس شيئاً تحت الماء لكن خارج الماء . فاذا خرج الهندي من النهر حينئذٍ يجتمع الرجال ويسحبون هذا الحيوان المربوط الى خارج الماء ويقتلونهُ وانا نظرتُ بعيني لمّا اصطادوا اثنين منهم بسبب ان واحداً من الحيوانات كان قد ابتلع صبياً من رفاقنا ونحن راكبون في الكلك . وهذا الصبي كان خادم خوري هذه الكورة . فصعب على الخوري وامر ان يجتمع الهنود لصيد هذا الحيوان فاصطادوا اثنين منها فشقوا بطونها فوجدوا شقف جسد الصبي المذكور فاخرجوها واخذها الخوري فدفنها . وهولاء الحيوانات كثيرة العدد وفي بعض الاوقات يخرجون من النهر ويضجعون بجانبهِ على

الارض وفمهم مفتوح الى الهواء فيأتي عصفور صغير ويدخل في فمهِ ويبدأ ينقر من وسخ اسنانهِ فيشبع العصفور ويرجع طايرًا والحيوان يطيب لهُ بتنظيف اسنانهِ

١٣ من غوايا كيل الى كيتو

ثم وصلنا بعد اربعة ايام الى بلدة غوايا كيل المذكورة . وهذه البلدة مسكونة من الهنود والاسبنيول وصار لنا من اناس هذه البلد اكرام زايد ولا سيما من رهبان مار عبد الاحد . وبعد ان مكثنا هناك عشرة ايام خرجنا قاصدين قرية تسمى بابا (Baba) مسكونة من الهنود والسبنيولية وهي ارض سخنة . ويوجد هناك بساتين فيها جنس اشجار كاشجار التوت تحمل ثمرة تسمى كاكاو (Cacao) يعملون منها الچيكولاتا (Chocolat) وهذا الثمر تراهُ مثل البطيخ متعلقًا وملتصقًا على جسم الشجرة . فلمَّا يبلغ ويصفر يأخذونهُ ويقطعونهُ ففي داخله يخرج الثمر وهو حبوب اخشن من الفستق ثم يبيسونهُ حتى ينشف وبعد ذلك يقلونه فتراه كالقهوة في اللون والطعمة والريحة لكن كثير الدهن ومن دسامتهِ يصير مثل العجين ويضيفون اليهِ من السكر على قدر الحاجة وكذلك ايضًا من القرفة والعنبرخام ويجبلونهُ عجينًا ويجعلونهُ اقراصًا وينشفونهُ بالنيْ . ومن هذه الاقراص يغلون الچيكولاتا ويشربونها مثل القهوة . وهذا الثمر هو سالك عند الكل في جميع بلاد النصارى يأتون بهِ من هناك ويبيعونهُ

ثم خرجنا من هذه القرية قاصدين بلدة تسمى كيتو فسرنا وجزنا على قرية اخرى تسمى بوتيكاس دي سان انطوان فيوجد بهذا الدرب جنس قصب ارتفاعه اربعون ذراعًا وثخن القصبة اغلظ من مطواية نول الحايك ومن عقدة الى عقدة ذراع . فهذا القصب يجعلونهُ صواري اعني غطاء لسقف البيوت والبعض منهُ ممتلئ ماء ابيض وحلو وانا شربتُ منهُ . ثم اني امرتُ المكاري ان يقطع منهم ست عقد تكون مملوَّة ويحملها على بغل (١ . وايضًا يوجد في هذا الدرب لجناس وحوش كمثل السعدان والليمون الوان واشكال . وايضًا من قسم الطيور يوجد الضرَّه التي تتكلم وطير آخر يسمى باكامايا وهو بقدر ديك كبير . لكن ريشهُ ملون شيْ عجيب . ثم

١) ذكر دولوا (d'Ulloa) هذا القصب في سفره من غوايا كيل الى كيتو ووصفه موافق لما قال الكاتب

جزءاً على قرية تسمى كوانلو . ومن بعد اربعة فراسخ عدّينا على قرية تسمى انبات وايضاً يوجد في هذا الدرب جبال محاطة بالثلج . ومن راس احد هذه الجبال يخرج نار بونكان (١ . فتي احد السنين خرج من هذا الجبل نار كثيرة كرعد عظيم وصار دخان زايد ورماد حتى غطى الجو وما بقي تبان السماء ولا الشمس مقدار ساعتين ومن بعد ذلك انحدر هذا الغيم وحرق كل شيء وجد من الحشائش على وجه الارض وعكّر الانهر ومن هذا الشيء صار طاعون في جميع جنس الحيوان لعدم قوتهم ثم . انا وصلنا الى قرية تسمى نشبت ومنها رحنا الى قرية اخرى تسمى لاتاكونكا La Tacunga وفيها دير راهبات من طائفة الكرملتانيين قد بناهُ رجل صالح وهو اسقف بلد كيتو . وصرف على عمارته واقامته مايتين وخمسة وعشرين الف غرش . وهذا الاسقف يسمى دون الونصو بينامونته نيسكره . وبهذه القرية جاء الى ملاقاتي اربعة رهبان من رهبنة مار عبد الاحد ارسلهم رئيسهم فاخذوني الى بلد كيتو (Quito) واترلوني في ديرهم لان رئيسهم كان سمع ان معي امر تشيت هذا الرئيس من جنيرالهم الذي في رومية

(ستأتي البقية)

دين امرئ القَيْس الشاعر الجاهليّ

لحضرة مكاتبنا الفاضل الاب انستاس الكرمليّ

لقد تضاربت ارآء العلماء والمحققين والكتبة المبرّزين في حقيقة دين امرئ القيس امير شعرآء العرب الاَّ انهُ يمكن ردها الى ثلاثة مذاهب وهي :

(اولاً : رأي من يذهب الى انهُ كان وثنيًّا) على دين عرب الجاهلية من عبادة الاصنام وتكريمهم لها . ويستندون قولهم هذا الى ما جاء في ترجمته التي رواها لنا الراوون ووصلت لنا من ذلك ما رواهُ صاحب الاغاني ٨ : ٧٠ قال : « سار (يعني امرأ القيس) بهم اي بمن معهُ من القاتلة) الى بني اسد ومرَّ بقبالة وبها صنم للعرب تُعظّمهُ يقال لهُ : « ذو الخلصة » فاستقسم عندهُ بقداحهِ وهي ثلاثة : الآمرُ والناهي

١) هي جبال (Catoqaxi) و (Cargairaso) وفيها قسم بركانية